# محاضرات الادب العباسي / الفصل الاول

## المحاضرة الاولى / أ.د.ثائر سمير الشمري

## نبذة موجزة عن العصر العباسي

## الحياة السياسية

**ملاحظة** : اعتدنا ان نجد في كتب التاريخ ان العصر العباسي ( العصر الذهبي ) يقسم على حقب زمنية تسمى عادة باسم ( العنصر المسيطر ) ، لذلك قسم هذا العصر على اربع حقب كما يأتي : -

١- **العصر العباسي الاول** : وهو العصر الذي كانت فيه السيادة للخلفاء الاقوياء من بني العباس الذين استطاعوا ان يحسموا النزاع الدائر بين ( العرب والفرس ) لصالح العرب كما سنرى ، ويمتد السقف الزمني لهذا العصر من تاريخ تاسيس الدولة العباسية عام (١٣٢ هـ

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

الثورة العباسية

تُعدّ هذه الثورة نهاية الثورات الكثيرة التي نشبت ضد بني امية ، وهي ثورات اراد بها اصحابها الى الاصلاح الاجتماعي ، واكثرهم كان يتخذ طريق العنف ، ويريد ان يمحو سلطان الأُمويين محواً على نحو ما كان يريد ابن الزبير والخوارج والشيعة وابن الاشعث ويزيد بن المهلب .

وكانت تشارك في هذه الثورات كلها فئات من الموالي الذين اضطهدهم بنو امية ، وحرموهم المساواة بالعرب في الحقوق ، مخالفين نظرية الاسلام وما يدعو اليه من التسوية المطلقة بين العرب وغير العرب

في الضرائب وغير الضرائب ، فكان طبيعيا ان تكثر مطالبتهم بالعدل الاجتماعي ، وان يطمحوا الى حكام جُددٍ يقرون فيهم مبادئ الاسلام الذي يوجب المساواة بين افراد الامة في الواجبات جميعها المالية وغير المالية ، والذي ينكر الظلم اشد الانكار . وقد وضعت كثرتهم امالها في

ابناء علي (عليه السلام ) واسرته الهاشمية ، لما تميز به حكمه من مساواة تامة بين العرب والموالي بحيث اصبحوا شيعتهم .

وعرف ذلك فيهم ابناء عمومتهم العباسيون ، ولكن كيف يلون هذه الزعامة ، والشيعة من حولهم ينضوون تحت الوية ابناء علي (عليه السلام ) وحدهم دون من سواهم من الهاشميين ؟ لقد اخذوا يفكرون في ذلك ، ولم يلبثوا ان نفذوا الى امنيتهم المبتغاة عن طريق فرقة الكيسانية الشيعية التي تكونت حول ابن الحنفية، فقد استوطن ابنه ( ابو هاشم ) – الذي ورث عنه زعامة هذه الفرقة وامامتها – بلدة ( الحُمَيمَة ) ببلقاء الشام ، ونزلها معه (علي بن عبد الله بن العباس واسرته ) ، وسرعان ما توثقت الصلة بين ابنه محمد وبين ابي هاشم، وراى فيه ابو هاشم خير خلف له على جماعته ، فلما حضرته الوفاة سنة ( ثماني وتسعين للهجرة ) اوصى له وصية صريحة بالامامة من بعده . وبذلك وجد (محمد ) ركيزة يعتمدها في اثبات حقه في الخلافة ، وكان حصيف الراي بعيد النظر ، فعمد الى تنظيم الدعوة العباسية سرا من مقّره في ( الحميمة) ، متخذا من الكوفة دار التشيع ومستقره مهدا لها ومركزا ، وبدأ بنشر الدعوة في خراسان معتمدا في ذلك الاعاجم حيث كان الموالي هناك يمتلؤون سخطا على الامويين الذين كانوا لا يزيلون عنهم

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

دعاة ( ابي سلمة ) في خراسان ، فقد بدا في وضوح فساد الحكم كما بدا فساد النظم الاجتماعية التي رزح الموالي تحت اثقالها الباهظة ، وتراءى حينئذ في الافق ان سلطان البيت الاموي يؤذن بالسقوط ، ونشب صراع عنيف بين افراده، اذ لم يلبثوا ان قتلوا الوليد واخذوا يتطاحنون على عرش الخلافة تطاحنا مرا .

وفي هذه الاثناء تولى ( ابو مسلم الخراساني ) قيادة الدعوة في موطنه ، وكان من دهاة الرجال ومن اكفئهم في النهوض بجلائل الاعمال ، فاخذ يصور للناس فساد الحكم الاموي وما يسومهم به من خسف وظلم، وكيف انه سيملكهم الارض ويجعلهم سادة بعد ان كانوا عبيدا مسترقين ، والناس يسمعون له وينضمون الى دعوته ، وبدات الثورة في خراسان ، وحواضرها تسقط واحدة اثر اخرى في يده ، وكان الأمويون في شغل عن خراسان بثورات الخوارج في العراق وغير العراق ، وحينئذ تبرز الى النور حكومة بني العباس السرية.

وفي هذه الاثناء كان الامويون قد قبضوا على ( ابراهيم بن محمد الامام ) ، اذ عرفوا انه هو الذي يدبر هذه الثورة من مقره في ( الحميمة ) ، وعرف ( ابراهيم ) انه سيقتل ، فعهد بالامر من بعده الى اخيه (ابي العباس السفاح ) . وقتل ابراهيم ، ونقلت الانباء الى ( ابي العباس السفاح ) دخول ( الحسن بن قحطبة) الكوفة – وهو قائد جيشهم ضد الامويين – فخرج اليها في اهله يتقدمهم اعمامه : داود وعيسى وصالح وعبد الله واسماعيل وعبد الصمد ، واخوه ابوجعفر ، وابن عمه عيسى بن موسى بن محمد .

**س / ما الدافع الذي دفع الفرس لان يشاركوا في الثورة العباسية ؟**

**ج / وذلك لان ثمن هذه المشاركة هو مشاركتهم بالسلطة ، وبالفعل طبق هذا الاتفاق ، واصبحت الخلافة للعرب والوزارة للفرس ، الا انه لما تقلّص الصراع بين العرب انفسهم دخل بالسياسة عنصر جديد هو العنصر الفارسي شركاء الدولة الجديدة ، وبدأ الصراع مبكرا بين الخليفة الذي مثّل العرب والوزير الذي مثّل الفرس ، والخلفاء العباسيون الاوائل كانوا اقوياء**

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

**اصبح من يتكلم من الناس على العباسيين يكون مصيره القتل .**

**س/ ما الاسباب التي أضعفت الخلافة العباسية وأدّت الى تدهورها ؟**

**ج/ هناك عدّة أسباب أدّت الى ذلك كان أهمها:**

١– الشعوبية والزندقة : لفظان مجتمعان ظهرا في العصر العباسي ، والشعوبية هي موقف قومي عنصري،وهي كره العرب عامة واحتقارهم وإنكار كل ما لهم من فضل أو مزية ، ويمكن تفضيل جميع الأمم الأخرى على العرب.

أما الزندقة فهي موقف ديني ، وهي معاداة الاسلام ومحاربته وعدم الايمان به كدين ، وهم الذين يسميهم القرآن الكريم بالمنافقين الذين يتظاهرون بالاسلام ويبطنون الكفر .

**س/ الفخر غرض قديم من أغراض الشعر ، فهل عندما يفخر الشاعر بقومه يُعدُّ موقفه هذا شعوبياً ؟**

**ج/ لا يعدّ هذا الموقف شعوبياً لأن العربي يفخر بقومه ، فمن حق الأعجمي أن يفخر بقومه أيضاً ، ولكن اذا افتخر بقومه ثم التفت وشتم العرب فهذا موقف شعوبي فيُقتَل الشاعر عليه ، وممن كان يذهب هذا المذهب في العداوة للعرب ( المتوكلي ) الشاعر المنسوب الى المتوكل ؛ لأنه كان من ندمائه ؛ إذ يقول في شعوبية حاقدة:**

**أنـا ابـن الأكـارم مـن نـسل وحائز إرثِ ملوك العجمْ**
**وجمْ**
**وطالب أوتارهم جهرةً فمن نام عن حقهم لم أنمْ**
**فقل لبنـي هاشم أجمعين هَلموا الى الخلع قبل النَّدمْ**
**وعـــودوا الـــى أرضـــكم لأكل الضِّباب ورعي الغنمْ**

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

والتمردات الشعوبية ، مثل (الخرمية والأشفين والمازيا) ، وهي تمردات عسكرية مسلحة كلفت الدولة جهوداً وضحايا للقضاء عليها، لأنها كانت تدعو الى طرد العرب والانفصال عن الدولة والعودة الى المجوسية.

ومن مظاهرها أيضا الوضع في الحديث النبوي الشريف في نشاطها السري ، أي وضع الآلاف من الأحاديث الكاذبة على لسان النبي محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وإشاعتها بين الناس ، والهدف منها تخريب الدين وتحريفه ومحاربة الاسلام ، ومَنْ يضع هذه الأحاديث هو تااقن لها وذو خبرة بها ، بل قد يُصلّى وراءَه ، وهذا أخطر ما قامت به الشعوبية والزندقة ، والذي ثبت على زندقتة قتلوه ، ومنهم ( عبد الكريم بن أبي العوجاء ) عندما جاءوا به ليُقتل قال بانه وضع ( ٤٠٠٠ ) أربعة آلاف حديث كاذب ستجهدون في الحصول عليها وتصحيحها .

وعظمت حركة الزندقة في عهد المهدي ببغداد والعراق ،ورأى المهدي فيها شرًّا مستطيراً يتهدّد كيان الدولة والاسلام ، فجدَّ في طلب الزنادقة منذ سنة (١٦٦ هـ) ، واتخذ لهم ديواناً

يتعقبهم ، وأخذ يقتلهم نكالاً لغيرهم ، وكان ممن قتله عبد الله بن وزيره أبي عبيد الله ، وبشار بن برد الذي تبرأ من ولائه للعرب بقوله :

**أصبحتُ مولى ذي الجلالِ وبعضهم  مولى الغُرَيبِ فخذ بفضلكَ فافخرِ**

وكان بشار يعلن إشادته بالنار معبودة قومه المجوس ويفضلها على الطين، كما يفضل ابليس على الانسان ، وكذلك قُتِلَ صالح بن عبد القدوس ، وحماد عجرد ، ومن قبلهم قُتلَ ابن المقفع في عهد المنصور ، وفيه يقول المهدي : (( ما وجدت كتاب زندقة قط إلاّ وأصله ابن المقفع )) .

## الحياة الاجتماعية

لقد عَمَّ البذخ حياة الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة ومن اتصل بهم من الشعراء والمغنين والعلماء والمثقفين، وكان الخلفاء والوزراء والولاة والقواد يغدقون على العلماء والأطباء والشعراء والمغنين ، ورَسْمُ المهدي لمروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على مدحته ذائع مشهور ، وكان يصنع الصنيع نفسه مع المغنين حين يطرب لبعض أصواتهم ، وكان الرشيد بحراً فياضاً مايني ينهلّ على العلماء والفقهاء من أمثال قاضيه للشعراء والمغنين ، ونافسهم الوزراء في هذا البذل الواسع ، وللبرامكة فيه ما ليس لأحد ، فقد كانت بأيديهم خزائن الدولة في عهد الرشيد ، فملأوا منها أيدي العلماء والأطباء والمترجمين والمغنين والشعراء بالأموال ، وكأنهم كانوا يبارون فيه الرشيد .

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

وكان لهذه السيول التي كانت ما تزال تسيل الى حجور العلماء والأطباء والمترجمين والشعراء والمغنين أثرها الواسع في نهضة العلوم والآداب والفنون ، فقد كُفِيَ أصحابها مؤونة العيش ، بل كان منهم مَن يُثري ثراءً فاحشاً حتى يقال إنه صار الى ابراهيم الموصلي المغني أربعة وعشرون مليون درهم سوى راتبه الجاري وهو عشرة آلاف درهم .

ولاريب في أن هذا كله كان على حساب العامة المحرومة التي كانت تحيا حياة بُؤْس تقوم على شظف العيش لينعم الخلفاء والوزراء والولاة والقواد وكبار رجال الدولة وأمراء البيت العباسي الذين بلغوا هم وأبناؤهم نحو ثلاثين ألفاً لعهد المأمون . وظهر في هذا العصر أدب يسمى ( أدب المسامرة ) أو أدب النديم ، وكان يصاحب هذا ظهور أدوات الترويح ولعب كثيرة ، من ذلك سباق الخيل ، وسباق الحمام الزاجل ، ولعبة الصولجان ، وهي كرة تُضرب من فوق ظهور الخيل ، ومن ذلك المحادثة بين الديوك والكباش والكلاب .

ونتيجة للحروب التي خاضها المسلمون شاعت ظاهرة الرقيق ، وكان يقوم عليه موظف يسمى ( قَيِّم الرقيق ) . وكان الرقيق يُجلب من بلاد الزنج وافريقية الشرقية ومن الهند وأواسط آسيا ومن بيزنطة وجنوب أوربا ، وقد دعا الاسلام دعوة واسعة الى تحرير الرقيق فكان كثير منهم يحرّرون ، وقد يصل بعضهم الى أرفع المناصب في الدولة مثل الربيع بن يونس مولى المنصور وحاجبه ثم وزيره . وكان الرشيد يستكثر منهم حتى قيل إنه سار يوماً وبين يديه أربعمائة منهم .

وكان رقيق النساء من الجواري أكثر عدداً من رقيق الرجال ، فقد امتلأت بهنَّ الدور والقصور ، وكُنَّ معروضات بدور النخاسة تحت أعين الرجال ، وكانت الجواري من أجناس وثقافات وديانات وحضارات مختلفة ، فأثّرن آثاراً واسعة في أبنائهنّ ومحيطهن وهي آثار امتدت الى قصر الخلافة وعملت فيه عملاً بعيد الغور ، فقد كان أكثر الخلفاء من أبنائهن ، فالمنصور أمه حبشية والهادي والرشيد أمهما الخيزران رومية والمأمون أمه مراجل فارسية وكذلك أم المعتصم ماردة ، وكانت أم الواثق رومية وتسمى قراطيس . وقد أخذ هؤلاء الجواري يكثرن في القصر منذ عهد المهدي ، ويقال انه اشترى جاريته مكنونة بمائة ألف درهم .

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

الفرج الأصبهاني – فيما بعد – كتابه الأغاني عليها .

وبلغ من رُقي هذا الفن وارتفاع شأنه في النفوس أن أقبل أبناء الخلفاء وعِلية القوم على تعلمه واتقانه حتى لنراهم يصنعون فيه ألحاناً وأصواتاً تُنْسَبُ اليهم ، وقد فتح أبو الفرج في أغانيه فصلاً ، بل فصولاً طويلة لأبناء الخلفاء ، وما أُثِرَ عنهم من أصوات ، وأشهرهم ابراهيم بن المهدي وأخته عُليّة ، وكان ابراهيم يُعَدُّ في كبار المغنين المحسنين ، وله أصوات كثيرة ، وكانت عُليّة مثله تجيد الغناء وقد خلّفت فيه ثلاثة وسبعين صوتاً . وممن برع في الغناء وأثرت عنه أصوات بديعة فيه عبد الله بن طاهر ، وأبو دلف العجلي قائد المأمون المشهور.

وكانت القيان في الكوفة وبغداد يكثرن من الاختلاف الى دور الشعراء ، وكان الشعراء وغيرهم يزورونهنّ في دور اصحابهنّ من المقيِّنين ، وكانت أشبه بالنوادي الكبيرة للغناء والموسيقى . وكثيراً ما يقع الشعراء في حب بعضهنّ المكتملات الخلق الجميلات الجسد ، فيستأثرن بكل مافيهم من عاطفة وهوى على نحو استئثار ريم بقلب مطيع بن إياس ، وعبادة

بقلب عبد الله بن محمد البواب ، وعنان بقلب أبي النضير ، وسلسل بقلب أبان بن عبد الحميد،وكنّ يتبارين في جذب الشعراء بما يُشعن في أحاديثهنّ من عذوبة حلوة وبما يحسُنّ من صنوف الغزل والعبث بقلوب الرجال .

وعلى هذا النحو كانت الجواري والقيان في هذا العصر من العوامل الفعّالة في انتشار الظرف والرقة في المجتمع العباسي حتى أصبحا سمتين بارزتين فيه ، وبذلك رقّت المشاعر والأحاسيس ودقّت الاذواق وأرهفت إرهافاً شديداً .

**المجون**

ورث المجتمع العباسي ما كان في المجتمع الساساني الفارسي من أدوات لهو ومجون، وساعد على ذلك مادفعت اليه الثورة العباسية من حرية مسرفة ، فإذا الفرس يمعنون في مجونهم ويمعن الناس معهم ، فقد مضوا يعبّون الخمر عبًّا ، ويحتسونها حتى الثمالة ، فأصبح الادمان عليها ظاهرة عامة ، وكان من أسباب انتشارها وإقبال الناس عليها أن أدى اجتهاد فقهاء العراق الى تحليل بعض الأنبذة كنبيذ التمر والزبيب المطبوخ أدنى طبخ ونبيذ العسل والتين ، فشرب الناس هذه الأنبذة وقبلهم شربها الخلفاء ، وتهالك بعض الناس – امعانا في المجون – على

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

**صِرفاً كأنّ شُعاعَها ... في كفّ شاربها قبسْ**
**تَذَرُ الفتى وكأنّما ... بلسانه منها خرسْ**
**يُدْعَى فيرفع رأسَهُ ... فإذا استقلّ به نكسْ**

فهشّ الأمين ونشط ودعا بالشراب يصطبح به لليوم التالي وينعم بنشوته .

ولهذا السبب اشتهر فيها غير شاعر بخمرياته ، على نحو ماهو معروف عن أبي نواس ، وقد تفنن الشعراء في وصف نشوتها وآثارها في الجسد والعقل ووصف دنانها ومجالسها وندمائها وسقاتها ، ومنذ أول العصر نجد الخمر تقترن بالغناء والرقص ، إذ تحوّل المقيّنون في كرخ بغداد والبصرة والكوفة بدورهم الى حانات كبيرة للشرب كل مساء ، فكان الشعراء وغيرهم يؤمونها للشرب على غناء القيان وضرب الدفوف والطبول ، وكثير من دور الشعراء أنفسهم تحولوا بها الى مقاصف للخمر والمجون على نحو ماكانت دور مطيع بن إياس ورفقائه في الكوفة ودار بشار بن برد في البصرة ودار أبي نواس في بغداد .

ومما لا ريب فيه أن إدمان الخمر حينئذٍ دفع الى كثير من المجون والعبث والإباحية ، وكان المجتمع زاخراً بزنادقة وملاحدة وأناس من ديانات شتى مجوسية وغير مجوسية ، فأطلقوا العِنان في ارتكاب الآثام متحررين من كل قانون للخلق والعرف والدين . وكان من أهم العوامل التي هيأت لذلك السلع التي كانت تُباع وتشترى من الجواري والقيان في هذا العصر الى انتشار الغزل المكشوف الذي لا تصان فيه كرامة المرأة والرجل ، فكان الشعراء ينظمون في ذلك أشعاراً صريحة ، على نحو ما يلقانا عند مطيع بن إياس في الكوفة وبشار بن برد ومعاصريه في البصرة ، وقد استحال شعر بشار الى نداء صارخ للغريزة الجسدية ، نداء يندى له جبين الشرف ، مما جعل وعّاظ بلدته من أمثال واصل بن عطاء ومالك بن دينار يصرخون به ان يكفّ عن غيّه ، وتعالى صياحهم حتى وصل سمع المهدي ، فهدّده وأنذره ان ينزل به عقابه إن هو لم يزدجر ، واضطرّ أن ينزل على مشيئته وبكى ذلك طويلاً في اشعاره، على أن تدخل المهدي جاء متأخراً ، فقد عمّ طوفان هذا الغزل لا في البصرة والكوفة وحدهما ، بل أيضاً في بغداد عند

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

للشباب والرجال ، ويروى أن الأمين حين أفضت إليه الخلافة قدّم الغلمان وآثرهم ، فشاعت قالة السوء فيه ، ورأت أُمّه زبيدة دَرْءاً لتلك القالة أن تبعث إليه بعشرات من الجواري ، ألبستهنَّ لبس الرجال ، حتى ينصرف عن الغلمان . فكنَّ يختلفن بين يديه ، وابرزهن للناس ، ولم يلبث كثيرون أن جاروه في هذا الصنيع ، وكُنَّ يُسمَّين بالغلاميات ، وعمّت هذه البدعة في الساقيات بالحانات ، ولعلَّ ذلك هو السرّ في أن أبا نواس كثيراً ما يتحدّث عن بعض الجواري بضمير المذكر .

**الزهد والتصوف**

كانت موجة المجون حادّة ، ولكنّها لم تكن عامة في المجتمع ، بل كانت خاصة بالمترفين ومن حولهم الشعراء والمغنين ، أما عامة الشعب فلم تكن تعرف المجون ، وكانوا ساخطين سخطاً شديداً على كل ما يرونه حولهم من جموح الأهواء والإمعان في المجون .

واذا كانت حانات الكرخ ودور النخاسة والمقينين به اكتضت بالجواري والقيان والمغنين ، فإن مساجد بغداد كانت عامرة بالعُبّاد والنُسَّاك وأهل التقوى والصلاح ، وكان في كل ركن منها حلقة لواعظ يذكّر بالله واليوم الآخر وما ينتظر الصالحين من النعيم المقيم والعاصين من العذاب والجحيم . وكان من الوعّاظ مَنْ يقتحم قصر الخلافة ليعظ الخلفاء على نحو ماهو معروف عن عمرو بن عبيد في وعظه للمنصور ، وصالح بن عبد الجليل في وعظه للمهدي ، وابن السمّاك في وعظه لهارون الرشيد .

وكان الوعظ في هذا العصر يلتحم بالقصص للعظة والعبرة ، وهو التحام قديم منذ تميم الداري وكعب الأحبار في عصر الخلفاء الراشدين ومنذ قُصّاص الفتوح من أمثال أبي سفيان بن

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

والظهور ، أما تكونه التام فقد حدث في العصر العباسي الثاني .

وثمة آراء قيلت في اشتقاق كلمة صوفي ، ذكرها (القشيري) في (الرسالة القشيرية) ، منها : أنها أُخذت من الصوف لأنهم كانوا يلبسونه تمييزاً لهم من أهل الرّفه والتنعم ، أو هي من الصَّفاء ، أو هي من الصُّفَّة نسبة الى أهل الصفة الذين كانوا ينقطعون للعبادة في المسجد لعهد الرسول (ص) ، وذهب البيروني الى انها مشتقة من كلمة صوفيا اليونانية بمعنى الحكمة .

وفي هذا العصر تأصّلت في التصوف فكرة المعرفة الإلهية ومحبة الله ، كما تأصلت فكرة أن الصوفية أولياء الله ، وقد أحاط (الحلاج) الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بهالة قدسية تشبه الهالة التي يحيط بها المسيحيون المسيح (عليه السلام) ، وكان لذلك كله أثر عميق في حياة التصوف وتطوره على مرّ الأجيال .

## الحياة الثقافية والعقلية

اتسعت رقعة الدولة العباسية ، حيث امتدّت من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن المحيط الهندي والسودان جنوباً الى بلاد الترك والروم والصقالبة شمالاً . أي أن الدولة ضمّت بين جناحيها (بلاد السند وخراسان وماوراء النهر وإيران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر والمغرب ) ، هذه الرقعة الجغرافية الكبيرة عاشت فيها شعوب متباينة من حيث الجنس واللغة والثقافة ، وهذه الشعوب والأجناس بدأت تنصهر في الوعاء العربي حتى غدت كأنها جنس واحد .

وأهم الاسباب وراء ذلك نزول القبائل العربية في الأُمم المفتوحة وامتزاجها بشعوبها في السكن وعن طريق المصاهرة وتسرّي الإماء ، بحيث غدت بيوت بغداد تزخر بالجواري من كل جنس ، بحيث أصبح العربي خالص الدم في بغداد نادراً .

وكان وراء هذا المزج الدموي بين العنصر العربي والعناصر الأجنبية مزج روحي عن طريق الولاء الذي شرعه الاسلام والذي اتخذ رابطة تشبه رابطة الدم ، فالشخص يكون فارسياً أو هندياً أو رومياً أو قبطياً ويكون عربياً ولاءً ، وحتى مَن لم يسلم من الموالي من المجوس والصابئة والنصارى أخذ يندمج في المحيط العربي بفضل ما شرعه الإسلام لهم من حقوق

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

يقبلون على درس الشريعة الإسلامية والفقه ، وجمع العربية وتدوين أُصولها النحوية ، وإحسان صناعة الكتابة ، والشعر ، وأبرز أعلامهم منهم : أبو حنيفة ، وسيبويه ، وابن المقفع ، وبشار وأبو نواس .

وبسبب اختلاط العرب بالشعوب الأخرى أخذ اللحن بالتفشي ، ولكن علماء اللغة كانوا بالمرصاد لكل من يلحن ، حتى لكأنهم كانوا يعدّون اللحن احدى الكبائر .

وكذلك تسربت الى اللغة اللُّكنات الأعجمية بسبب صعوبة التكيف العضوي لمخارج الحروف العربية التي لا توجد في لغاتهم .

اذن الأمة العربية تؤثر وتتأثر ، يقول الدكتور طه حسين : (( إن العرب أثّرت في الأمم الأخرى ثقافياً ولكنها تأثرت بها ماديّاً والعرب فرضوا الدين الاسلامي وفرضوا معه اللغة العربية في حين أخذوا من تلك الثقافات والحضارات بعض الماديات )) .

لقد اذكى الاسلام جذوة المعرفة في نفوس العرب ، إذ دفعهم دفعاً الى العلم والتعليم ، ونهض التعليم في العصر العباسي نهضة واسعة ، وكانت مناهله الأولى تبدأ بـ(الكتاتيب) حيث كان الناشئ يتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة وبعض سور القرآن الكريم وشيئاً من الحساب وبعض الأشعار والأمثال .

وكانت الكتاتيب خاصة لتعليم أبناء العامة ، وكان هناك معلمون لأبناء الخاصة ، وكانوا أحسن حالاً من معلمي أبناء العامة ، حيث كانت تُفرض لمن كان يُعلم أبناء الخلفاء والوزراء والبيت العباسي والقواد منهم رواتب ضخمة جعلتهم يعيشون في سعة من العيش ، ومنهم ( المفضل الضبي) معلم المهدي ، وله اختار مجموعته الشعرية الملقبة بالمفضليات ، (والكسائي) معلم الرشيد وابنيه الأمين والمأمون .

وامتازت في هذا العصر البصرة بسوق باديتها المعروف بـ(المربد) الذي كان ملتقى للفصحاء العرب يلتقي فيه شباب البصرة تمريناً لألسنتهم وتربية لأذواقهم ، وكان من شعراء البصرة الشباب من يرحل الى البادية ليأخذ اللغة والشعر من ينابيعها الأصلية على نحو ما هو معروف عن بشار بن برد .

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

لم يكتفوا بالاختلاف الى حلقة واحدة ، بل مضوا يختلفون الى الحلقات المتنوعة ، آخذين بطرف من كل لون من ألوان المعرفة حتى أصبحوا يتحدثون حديثاً شائقاً في صور المعرفة كلّها ، وكان يُطلَق على هذه الطائفة في البصرة اسم (المسجديين) ، وكان لهم سوقٌ نافقة في مجالس الخلفاء والوزراء وعلِّية القوم ، وصار المثقف العباسي المثالي هو مَن أخذ من كل علم وفن بطرف .

لقد أغدق الخلفاء ووزراؤهم على العلماء كثيراً ، وكان أول من سنَّ هذه السنة من الخلفاء (المهدي)، ثم صار بعد ذلك تقليداً احتذاه من جاء بعده .

وان من أهم الأسباب في بلوغ الحركة العلمية غايتها من النهضة الواسعة استخدام الورق في هذا العصر ، وأنشأ ( الفضل بن يحيى البرمكي ) في عهد الرشيد مصنعاً ببغداد للورق ، فاتسعت صنعة الوراقة، وكان مما دفع لرواج الوراقة تنافس كثيرين على اقتناء الكتب واتخاذ المكتبات، وقد أقامت الدولة منذ عهد الرشيد مكتبة ضخمة هي (دار الحكمة ) عُنيت فيها اشد

العناية بالكتب المترجمة التي تحمل كنوز الثقافات الأجنبية ، وكانت هذه المكتبة جامعة كبرى لطلاب العلم والمعرفة .

وكانت أضخم مكتبة هي مكتبة ( يحيى بن خالد البرمكي ) ، وربما فاق هذه المكتبة عظماً وضخامة مكتبة ( الواقدي ) المؤرخ المشهور (ت٢٠٧هـ) وكانت تشتمل على ستمائة صندوق مملوءة بالكتب.

وأنشأ بعض الوراقين لهم دكاكين كبيرة ملؤوها بالكتب يتجرون بها ، وكان بعض الشباب يغدو الى هذه الدكاكين لا ليشتري منها فحسب ، بل ليقرأ فيها ما لذَّ وطاب من صنوف الآداب نظير أجر بسيط يتقاضاه منه صاحبها .

ومما هيأ لازدهار الحركة العلمية ايضاً مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء والسَّراة ، إذ تحولوا بها الى مايشبه ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صنف ، على نحو ما يُروى من مناظرة الكسائي الكوفي واليزيدي البصري بين يدي المهدي ، وما يُروى من مناظرة الكسائي وسيبويه بين يدي الرشيد أو بين يدي يحيى بن خالد البرمكي .

وكان مجلس المأمون ساحة واسعة للجدال والمناظرة ، وكان مثقفاً ثقافة واسعة عميقة [illegible] وبالفلسفة وعلوم الأوائل ، فمضى يحول مجالسه في دار الخلافة ببغداد الى ندوات علمية تدور فروعها [illegible] وكذلك كان مجلس يحيى بن خالد البرمكي [illegible] مجالس أخرى للمتفلسفة والمتكلمين ، ويُخيل الى الانسان كأنما كانت أزواد المعرفة والثقافة ملقاة في كلّ مكان ، وهي حقًّا كانت مطروحة في الطرقات معرضة لكل الأيدي ، ويكفي أن نعرف أن أعلام الشعر في هذا العصر كانوا جميعاً من الطبقة الدنيا في الشعب ، فبشار كان أبوه طيّاناً يضرب اللبن ، وأبو نواس كانت أمه غازلة للصوف ، ومن هذا الغزل كانت تعوله، وأبو العتاهية كان في صغره يحمل الخزف والجِرار على ظهره في شوارع الكوفة يبيعها للناس ، وكان أبو مسلم بن الوليد حائكاً ، وأبو تمام كان أبوه عطّاراً أو خماراً ، ويمكن القول إن أبناء العامة جميعاً قد أصابوا حظّاً من الثقافة ، ونرى الجاحظ في رسالته ( الرد على النصارى) ينكر على العامة تعرضهم لمناقشة الملحدين في آرائهم الفاسدة لعدم إحاطتهم الدقيقة بتلك الآراء وما ينقضها نقضاً من الأدلة ، يقول : (( ومن البلاء أن كل إنسان من المسلمين يرى أنه متكلم وأنه ليس أحد أحق بمحاجة الملحدين من أحد)) . ويهمنا ما تدل عليه شكواه من أن كل مسلم لعصره أصاب حظاً من طريقة المتكلمين في حجاج اصحاب الملل والنحل الفاسدة ، وبالمثل كانت العامة تصيب حظوظاً من الثقافة الدينية واللغوية والشعرية .

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

وكان هذا ثمرة ازدهار الحركة العلمية والأدبية في العصر ، وأهم الأسباب التي دفعت الى ذلك الاتصال الخصب المثمر بين الثقافة العربية الخالصة وبين ثقافات الأمم المستعربة وما طوى فيها من معارف وعلوم ، وكان هذا الاتصال يأخذ منذ عصر بني أُمية طريقين : طريق المشافهة مع المستعربين ، وطريق النقل والترجمة ، إلاّ أن الطريق الثاني اتسع كثيراً في العصر العباسي .

كل ماسبق تسبب في اغناء الحياة الثقافية في العصر العباسي ، والتي كانت تسير في ثلاثة روافد :

١- علوم العربية : ونعني بها علوم اللغة وما يتصل بها من نحو وبلاغة ونقد وعروض وصرف وعلم لغة.

٢- العلوم الاسلامية : وهي كل العلوم التي تدور حول القرآن والسنة والاسلام ، والتي تتناول التأويل أو التفسير والاعراب وغير ذلك .

٣- العلوم المعربة أو المترجمة : ويراد بها كل ما نقل الى العربية من تراث الأمم المختلفة .

This is a watermark for the trial version, register to get the full one!

Benefits for registered users:
1.No watermark on the output documents.
2.Can operate scanned PDF files via OCR.
3.No page quantity limitations for converted PDF files.

Remove Watermark Now

الطبيعي نتيجة لهذا الاختلاط ونقل الكتب وترجمتها أن يظهر لدينا علماء في الاختصاصات المختلفة مثل الخوارزمي وجابر بن حيان .

وكان من الطبيعي ايضاً وقد نقلت الفلسفة اليونانية أن تصبح للعرب في مرور الزمن فلسفة خاصة ذات طوابع مستقلة ، فالعقل العربي في العصر العباسي أصبح عقلاً متفلسفاً كما أصبح عقلاً علمياً .

وأول فيلسوف عربي ( الكندي) الذي لقب فيلسوف العرب ، ومن ثمة كان هناك أعلام بارزون في الفلسفة الاسلامية ( الفارابي) (ت٣٣٩هـ) .